335588 ـ شبهة حول مشاركة الملائكة في غزوة بدر

السؤال

كيف نرد على الشبهة الآتية : " كان عدد قتلى المشركين في بدر ٧٠ قتيلا، مع أن الله عز وجل أمد المسلمين بألف من الملائكة، وأمرهم أن يضربوا المشركين فوق الأعناق، وأن يضربوا منهم كل بنان"، ومع ذلك انهزم من المشركين قرابة ٨٦٠ مشركا، وكما يقول مورد الشبهة أن السبعين قتيلا معروف من قتلهم بالتفصيل فقتل علي رضي الله عنه عشرة وحمزة سبعة وهكذا، فكم قتل الملائكة مشركا؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قد ثبت بالنصوص الصحيحة أن الله سبحانه وتعالى أعان المسلمين بالملائكة في غزوة بدر.

قال الله تعالى: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ آل عمران/123 ـ 127.

ومن يستشكل هذه الواقعة بحجة أن من قتل ببدر من المشركين هم قلة ، وقد ذكر أهل السير قاتليهم، فهذا القول ليس بشيء، وبيان هذا من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:

أَمْرُ الله تعالى بالجهاد ومقاتلة الأعداء هو من الأمور التي كُلِّف بها المسلمون واختبروا بها، فالأصل أنّ من يقتل من الأعداء فإنّما يقتل بأيدي المؤمنين.

قال الله تعالى: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ التوبة/14.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

" ثم قال تعالى عزيمة على المؤمنين، وبيانا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده: (

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) وهذا عام في المؤمنين كلهم " انتهى من "تفسير ابن كثير" (4 / 118).

والله سبحانه وتعالى لو شاء أن يهلك الكفرة، لأهلكم من غير حرب ومن غير مدد من الملائكة، ولكن أمر القتال من أمور الاختبار لأهل الإيمان، وإقامة الحجة على أهل الكفر، ونجاة من ينجو منهم أو يأسر لحكمة ولعله أن يسلم كما حدث لأهل مكة.

قال الله تعالى:(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) محمد/4.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:

" (ذَلِكَ) الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، ومداولة الأيام بينهم، وانتصار بعضهم على بعض (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ) فإنه تعالى على كل شيء قدير، وقادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبدا، حتى يبيد المسلمون خضراءهم.

(وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) ليقوم سوق الجهاد، ويتبين بذلك أحوال العباد، الصادق من الكاذب، وليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة، لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة، فإنه إيمان ضعيف جدا، لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن والبلايا " انتهى من "تفسير السعدي" (785).

والله جازى عباده المؤمنين لصدقهم بمدد الملائكة لتثبيتهم.

قال الله تعالى: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ الأنفال/9 ـ 12.

وبعض المفسرين حملوا الأمر في قوله تعالى: (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)، على أنه خطاب للملائكة، وبعضهم حمله على أنه أمر للمؤمنين.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

" فالواجب أن يقال: إن الله أمر بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم، أصحابَ نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرا " انتهى من "تفسير الطبري" (11 / 71).

لكن قد ثبتت مشاركة الملائكة عليهم السلام في قتل الكفار وأسرهم كما سيأتي، وهذه المشاركة نوع من تثبيت الله لعباده

المؤمنين، ولا تمنع أن يكون أكثر من قتل يومئذ قتل بأيدي المؤمنين، لأن القتل والقتال منوط بهم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

" قال الشيخ تقي الدين السبكي: سُئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟

فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتكون الملائكة مددا، على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع، والله أعلم " انتهى من "فتح الباري" (7 / 313).

الوجه الثاني:

أنه قد ثبتت مشاركة الملائكة عليهم السلام في قتل المشركين وأسرهم.

فعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه:

" ... فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَأَسَرْنَا سَبْعِينَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ، مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ " رواه الإمام أحمد في "المسند" (2 / 261)، وصحح إسناده محققو المسند.

وعن عَبْد اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ:

" لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ! إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ " .

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:

صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ " رواه مسلم (1763).

وأما ما ذكره أهل السير في أسماء قاتلي كفار قريش، فلم يذكروا جميع ذلك، فقتلى المشركين بلغوا السبعين، كما سبق في حديث علي رضي الله عنه، وكما في حديث البَرَاء بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

" جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالحَرْبُ سِجَالٌ" رواه البخاري (3986).

وابن هشام رحمه الله تعالى أورد في "سيرته" (2 / 365 ـ 374)، ما وصله من أهل السير حول أسماء قاتلي كفار قريش، فلم يورد إلا ما تعلق بخمسين قتيل، وجملة منها مجرد أقوال تحتاج إلى إثبات.

الوجه الثالث:

أن قلة هؤلاء القتلى يثبت حقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين، فرغم جهاده صلى الله عليه وسلم وجهاد المؤمنين معه ومدد الملائكة إلا أن الله سبحانه وتعالى حقق له النصر والفتح بأعداد قليلة من القتلى، ودخل الباقون في الإسلام، وهذا مصداق لقوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ الأنبياء/107.

قال المفسر ابن كثير رحمه الله تعالى:

" يخبر تعالى أن الله جعل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة ...

وقال مسلم في صحيحه ... عن أبي هريرة قال: (قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة) " انتهى من "تفسير ابن كثير" (5 / 385).

والله أعلم.